الشعر التعليمي في نيجيريا: دراسات في مقتطفات العلماء المسلمين بها

موسى عبد السلام مصطفى أبيكن[١]، محمد جامع عبد الله[٢]

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مجموعة من المؤلفات التعليمية النيجيرية. وقد بدأ البحث بأهمية اللغة العربية لدى مسلمي نيجيريا، والى الدوافع الرئيسة من تعلمها، والادلاء بالدلو بالمشاركة في الإنتاج العربي بالديار النيجيرية، نثرا وشعرا. وناقش البحث ثماني نقاط يراها المسلمون النيجيريون أهمية لهم في فهم الإسلام والعربية عن طريق الشعر التعليمي، وفي معرفة حماتها. وقد توصل البحث من خلال النماذج المذكورة أن الشعراء في نيجيريا، قد طرقوا أبوابا شتى من فنون الشعر، وكان الإسلام والحبالشديد للانتماء إلى العربية هما الدافع الرئيس إلى استخدام اللغة في أوساط العلماء والمسلمين.

الكلمات المفتاحية: شعر، نيجيريا، صرف،نحو،دعاء، لغة عربية، شخصيات، وعظ، حكم، شكوى.

Abstract

The article examines works written by Nigerian scholars. It begins with the importance of Arabic Language to Nigerian Muslims; it also dwells on basic reasons for studying Arabic language among Nigerian scholars. The contributions made by Islamic jurists are briefly mentioned, particularly the poets among them. Part of the work focuses on eight areas which Nigerian Muslims see that are very important to them to understand Islamic and Arabic language, and to know the personalities who played significant role in protecting the image of the language.The research concludes that Islam and the passion for Arabic has been the major factor in the use of the language among the scholars and Muslim population

Keywords: Poetry, Nigeria, Morphology, Grammar, Prayer, Arabic Language, Personalities, Sermon, Wisdom, complain.

المقدمة: اللغة العربية في نيجيريا

اللغة العربية لغة راقية ذات ثقافة عالية، تتكلم بها أمة عظيمة في أفريقيا وآسيا ما لايعرف عددهم إلا الله. ولقد ساعد الإسلام على جودة هذه اللغة، وعلى انتشارها في العالم، وهي لغة القرآن المقدسة لدى المسلمين جميعا في أنحاء العالم فلا يكاد الإسلام يدخل في أمة حتى يسارعوا إلى درس القرآن، والفقه، والحديث، وبالتالي، ينساقون إلى درس العربية،

[1] Musa A.M. Abikan, Department of Arabic and Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, Kogi State University, Anyigba, P.M.B 1008 Kogi State, Nigeria, musaabikan@gmail.com

[2] Mohammad Jamiu Abdullahi, Department of Arabic and Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, Kogi State University, Anyigba, P.M.B 1008 Kogi State, Nigeria, abdullahi.mj@ksu.edu.ng jamiu2000ng@yahoo.com

وقواعدها ليتمّ لهم تفهم معاني القرآن، والحديث اللذين هما عماد الدين الإسلامي وبذلك، صارت العربية لغة العلم، والأدب، والتاريخ، في بلاد الفرس، والهند، والترك، والبربر، وغرب أفريقيا، وغيرها من البلاد وهكذا، ظلت الثقافة العربية تراث كل مسلم، وحقه الشرعي لا فرق بينه وبين العربي الصميم وهكذا اشتهر أعلام من العجم، يرجع إليهم الفضل في حفظ العلوم والفنون (الإلوري، ١٩٨١).

ويرجع مبدأ التعليم العربي في غرب أفريقيا إلى وقت دخول الإسلام فيها . وصار يقوّى مع قوة الإسلام حينا، ويضعف مع ضعفه حينا آخر، كما هو الواقع في مختلف البلاد, ذلك أن المسلمين يلزمهم أن يؤدوا صلواتهم المفروضة، كل يوم وليلة بسور من القرآن وآياته كما أنهم يقيمون الصلاة، ويأتون في كل هيئة من هيئاتها بألفاظ عربية من آذان، وإقامة، وتكبير ، وتسميع (قول سمع الله لمن حمده للإمام والمنفرد)، وتهليل، وتشهد لا تتبدل تلك الألفاظ بسواها (الإلوري، ١٩٨١). وعندما يدخل كافر أو وثني إلى الإسلام، فسرعان ما يسرع إلى تعلم هذه الكلمات العربية، ثم إلى تعلم القرآن. وبالتالي، يقوم بعضهم إلى درس العلوم، وقواعد اللغة ليتم له فهم القرآن وما إليه.وكانت نيجيريا من البقاع التي أشرب أهلها حب العربية حتى ظهر فيهم أعلام، سجل التاريخ أقلامهم في الشعر والنثر منذ خمسمائة عام مضت إلى أن دخل الاستعمار هذه البقعة ، فتشعب تعليم العربية إلى ثلاث شعب:

أ- شعبة من يتعلم منها ما يكفيه للقيام بالأمور الدينية الضرورية في مدارس القرآن، والكتاتيب أو ما يماثلها من المدارس الإعدادية أو الثانوية الإنجليزية

ب- فرقة من يتخصص فيها للتعمق في الدين كالفقهاء والأئمة الأعلام يتعلمون في المعاهد المنزلية القديمة أو المعاهد الحديثة.

ت- طائفة ممن يتعلّمها كلغة أجنبية كالمستشرقين في الجامعات والمعاهد الغربية وهذا أثر من آثار العلمانية التي يطلق عليها علمنة الدولة، وعلمنة القانون وعلمنة الثقافة (الإلوري، ١٩٨٥).

الإنتاج العربي في نيجيريا

من المعلوم أن الإنتاج في كل زمان ومكان، إنما يقوم على النضوج العلمي في قواعد اللغة، ومحفوظات الشعر، وأن بلاد العجم تختلف عن بلاد العرب في قوة هذا النضوج إذ الإسلام هو الذي يمهد السبيل للأدب العربي في بلاد العجم كما أن النضوج الأدبي يحتاج إلى زمن حتى يبلغ العجم مبلغ العرب في الإنتاج، وإنما يتعلم المسلمون اللغة العربية بالدرجة الأولى ليفهموا بها أصول دينهم ، أما تعلمهم العربية للإنتاج الأدبي ففي الدرجة الثانية، ومن ثمّ، يزدهر الأدب العربي الذي يقوم على الثقافة الإسلامية المعتمدة على القرآن، والحديث، والفقه، وما يتصل بها من قواعد اللغة كالنحو، والصرف، والبلاغة فيستفيض الإنتاج في الشعر والنثر (الإلوري، ٢٠١٢). إذا صح التعبير، فقد

دانت نيجيريا لدولة الإسلام أمدا بعيدا، ولم يبلغوا مبلغ الإنتاج الأدبي إلا بعد طول الأمد، ورسوخ القدم في الكتب الأدبية ، فلا غرو، أن اتجه الأدب العرب في نيجيريا إلى الاتجاه الديني، وأن يصطبغ بالصبغة الصوفية التي سيطرت على نفوس المتدينين، وأن يتأثروا بالمقومات والمؤثرات التي تمخضت من دراسة المحفوظات كالمقامات الحريرية، وأشعار العصر العباسي المليئ بالصناعات اللفظية والمعنوية.

وبالتحديد، يعتبر النصف الأول من القرن التاسع عشر بمثابة العصر الذهبي للإنتاج في نيجيريا وقد كانت اللغة العربية اللغة الثقافية الوحيدة التي كان العلماء جميعا يستطيعون التفاهم بها على الرغم من اختلاف لغاتهم ولهجاتهم وكانت اللغة الوحيدة التي دوّن بها جميع تقارير الامبراطورية في القرن التاسع عشر، كما أن جميع الأحكام في المحاكم الشرعية حتى بعد سطو الاستعمار البريطاني كانت تسجل بها في كثير من الإمارات الإسلامية. ولم تقتصر جهودهم على شرح المشكلات والغوامض حسب تصريح الشيخ عثمان المتواضع فحسب، ولكنهم أضافوا إلى الثقافة العربية ثروة قيمة في شتى الميادين. وإذا نظرنا إلى ما ساهموا به في ميدان الشريعة، وعلوم الدين، نجد أنهم لم يقتصروا على توضيح المسائل الفقهية واللغوية فحسب، ولكنهم ، ابتكروا أيضا طريقة تسهل على طلاب العلم حفظ هذه المسائل، وذلك بتحويل قالبها المنثور إلى المنظوم (أبو بكر، ١٩٧٢).

فقد ظهر في مسرح التأليف عدد غير قليل من اللغويين، والموسوعيين عندما قوي عودهم ، واشتد ساعدهم في الفكرة، والشكل فقاموا يعلقون، ويشرحون، وينظمون، ويؤلفون فتركوا مؤلفات هائلة في مختلف الفنون والمعارف منهم الشيخ عثمان بن فودي ونجله محمد بلّو الذي يشار إليه بالبنان في البيان، وأكثرهم إنتاجا في ميادين المعرفة الشيخ عبد الله بن فودي الذي ظلّ قطب رحى الأدب والعلم في نيجيريا طوال حياته وإلى اليوم، وقد بقيت آثاره العلمية، وأعماله اللغوية مصدرا للدارسين، ومرجعا للباحثين، وفي مطلع القرن الماضي بالذات، أنجبت نيجيريا عباقرة من الكتاب، والشعراء، ولعل الشيخ آدم عبد الله الإلوري، والشيخ محمد الناصر الكبري الكنوي، والشيخ أبوبكر عتيق الكنوي، والوزير جنيد بن محمد البخاري الصكتي، والشيخ أبو بكر المسكين البرنوي، والشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، والشيخ يوسف عبدالله اللكوجي، والدكتور عيسى ألبي أبوبكر الإلوري، والمحامي آدم عثمان، والسيد عبد الرحمن عبد العزيز الزكوي من طلائع هؤلاء المؤلفين.

المنظومات التعليمية بالعربية

من موضوعات الشعر التي طرقها العلماء والفقهاء في نيجيريا المنظومات التعليمية بالعربية. فقد نظموا كثيرا فيه، واستخدموه في نشر الثقافة الإسلامية وبث العلوم العربية. ويمكن القول بأن أغلب العلماء المتفننين قد استخدموه في تدريسهم ووعظهم. فلانكاد نجد عالما متبحرا أو فقيها متفننا إلا وقد أخذ نصيبه في هذا المجال وكان العالم ينظم

المسائل الفقهية أو اللغوية ثم يدرسها لطلبته. فيجد الطلبة سهولة في حفظ هذه المسائل اللغوية في أسرع وقت ممكن، لأنه كلام موزون مقفى ولأن النغمة والإيقاع من معينات الحفظ والتذكر، فيرغب في قراءته ومعاودته أكثر من رغبته في قراءة ومعاودة الأسلوب النثري.واستمر العلماء والفقهاء ومشائخ الطرق الصوفية يتسابقون في هذا الميدان وينتج كل حسب تخصصه العلمي وميله الفني وقلما يخرج ذلك الانتاج عن دائرة الفقه والحديث والتوحيد والزهد والحكم والأمثال والنحو والصرف والتصوف والبلاغة والأدب والوعظ والإرشاد (غلادنثي, ٢٠٠٨).

وتختلف هذه المنظومات قلة وكثرة حسب غزارة العالم وحسب المادة التي يريد معالجتها. وقد تكون المنظومات كتابا ضخما وقد تكون صغيرة الحجم. ومن الأفذاذ الذين ألفوا في المنظومات التعليمية في نيجيريا الشيخ عبد الله بن فودي. ومن كتبه النحوية: "جمع الجوامع"، وهمع الهوامع"، و"لمع البرق"، و أما "البحر المحيط" فقد بلغ عدد أبياته أربعة آلاف وأربعمائة بيت. وفي الصرف ألف منظوما سماه الحصن الرصين، وتبلغ عدد أبياته ألف بيت. وللشيخ آدم عبد الله الإلوري مؤلفات في البلاغة، والأدب، والأناشيد الإسلامية، وكتب مدرسية أخرى. وللشيخ محمد الناصر الكبري مصنفات في التصوف الإسلامي، والأخلاق، والإلهيات. والشيخ الوزير جنيد الصكتي تآليف في المناجاة، والتاريخ، والشكوى. وللشيخ يوسف عبد الله اللكوجي إنتاجات في مجالات التربية الإسلامية والصوفية، والأخلاق .

وأهم الدوافع إلى المنظومات التعليمية لدى علماء نيجيريا تتلخّص في النقاط الآتية :

١- الحفاظ على التراث الثقافي العربي الإسلامي من الاندثار في مجموعات شعرية لطيفة.

٢- إعانة الذاكرة على حفظ العلوم والمعارف.

٣- حاجة المجتمع النيجيري إلى نوعيته في مجالات العلم والمعرفة كلها.

٤- رغبة العلماء في محو المعتقدات، والتقاليد السيئة من المجتمع, وإعداد الدعاة من أهل البلاد.

٥- صرف الشباب المسلمين عن الحفظ بأشعار المغنين والمطربين المحليين الذين شاعت أغانيهم في أرجاء البلاد شيوعَ جرادٍ منتشر.

٦- تقليد الشعراء المواطنين بشعراء العرب.

فقصارى القول، إن الشعر التعليمي شائع في نيجيريا خصوصا من القرن التاسع عشر الميلادي إلى اليوم، والفضل كله يرجع إلى العلماء السنيين الغيورين الذين ارتبطوا تفهم الإسلام بالعربية، وجعلوهما كالتوأمين في مراكزهم الدهليزية والمعاهد العليا بالبلاد، ولا تخرج الأهداف والغايات منه عن إطار خدمة الثقافة الإسلامية واللغة العربية.

مقتطفات من مؤلفات الشيخ عبدالله بن فودي التعليمية

لاينكر أي ناقد مدى شاعرية عبدالله بن فودي سواء من المعاصرين له أو الذين جاؤا بعده، وقد اعترفوا له بهذا التفوق العلمي، والتراث العربي الغزير،وفي مقدمتهم الأسرة التي أنجبته، والبيئة التي ولدته. ويبدو أن فنون النثر التي ظهرت في عصره، قد حوّلها عبدالله إلى المنظومات التعليمية بعبقريته النادرة وقد دلت على ذلك منظوماته التي تدور حول التفسير وعلومه، والفقه، والحديث، والتصوف، والنحو، والصرف، واللغة، والأدب، والعروض والقافية. ونذكر منها مفتاح التفسير، واللؤلؤ المصون، وضوء المصلي، وضياء السند، ومنن المنان لمن أراد شعب الإيمان، وسراج الجامع، والبحر المحيط ولمع البرق، وروض العاشق في مدح سيد العباد، ومصباح الراوي،وفتح اللطيف لعلمي العروض والقوافي،والحصن الرصين في علم التصريف وغيرذلك من مؤلفاته التعليمية. وإليكم نموذجا من منظوماته التعليمية:

١- الحصن الرصين

هو كتاب منظوم في علم الصرف، يحتوي على ألف بيت، وللكتاب شهرة فائقة بين طلبة العلم حيث أنهم يتدارسونه في دهاليز العلماء كما تعلموه لدى مؤلفه في قيد حياته، فأصبح الكتاب معروفا بينهم إلى اليوم، بدأ الكتاب بهذه الأبيات:

الْحَمْدُ لله الذِي تَعَـرّفَـــــــا إلى عِبادِهِ بِمَا تَصَرّفَـا
وأَنْطَقَ اللّغَاتِ في البَـــــوَادِي البُلَغَاءَ اللّسَنِ الـهَوَادِي
وعَمَّ بالرَّوَائِحِ الْأَيَـــــــادِي مَعَ الْغَوَادِي الْمُجْتَدِي والجَادِي
إِذْ أَرْسَلَ الرَّسُولَ لِلْـــــعِبَادِ يُرْشِدُهُمْ مَهَايِعَ[١٢] الرَّشَـادِ
محمدا سَيِّدَ كلِّ نَـــــــادِ أَفْصَحَ كلِّ نَاطِقٍ بالضَّادِ
صلى عليه ذو الأيادي الهادي وآله وصحبه الزُّهَـــــادِ
ما نَاحَتِ الْحَمَائِمُ الشَّوَادِي وصَاحَ بِالْأَنْعَامِ صَوْتُ الْحَادِي
وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ لَهُ رِيَـــــــاضٌ وبَيْنَها الْحِيَاضُ والْغِيَـاضُ
وحولَها خَمَائِلُ شِعَـــــــابُ وفوقها شَوَاهِقُ هِضَـابُ
تَفَرَّعَتْ مِنْ أَصْلِه أَفْنَـــــانٌ وَانْشَقَّ مِنْ دَوْحَتِه خِيطَـانٌ

إلى أن قال في مقدمة الكتاب:

عِلْمُ مَبَانِي كَلِمٍ تَصَـــــرَّفُ لِنَـــيْلِ مَعْنًى أَوْ بِلَفظٍ خَفَّفُـوا
في مُتَمَكِّنٍ اسمٌ أَوْ فِعلٌ صُرِّفْ كمصدرٍ لِلفعْلِ أَوْ لِلْمُتَّصِفْ
ومُفرَدٌ لِاثْنَيْنِ أَوْ لِلْجَمْـــــعِ مُصَـــــغَّرٌ عَزَوْ بِثَانِ مَـرَعِ

تخفِيفُ هَمْزٍ قَلبُ ذِي الاِعْلَالِ كالنقْلِ والتَّعْويضِ والإِبْدَالِ

فهذه الأبيات حيكت من بحر الرجز وكل سطر من هذه الأسطر بيتان من المشطور قد اتحدا في القافية، ويظهر أن المحدثين لجأوا إلى ذلك تخفيفا على أنفسهم من ثقل القافية، فتحللوا من شرط اتحادها في الشعر العربي وما اضطرهم إلى ذلك إلا خفة وزن الرجز، وأنهم احتاجوا إليه في تقييد الحكمة،والمثل، والموعظة ،والقصة ،والعلوم اللغوية بأفنانها. وذلك كثير في كلامهم لا تطاوعهم فيه القافية الواحدة خصوصا إذا لوحظ ضعف ملكاتهم الطارىء عليهم بكثرة الأعاجم بينهم. ومن هنا، دخل العلماء فقيّدوا علومهم غالبا بالرجز المشطور المزدوج كما فعل ابن مالك في ألفيته، صاحب الألفية، وغيره من الرجّازين.

إن علم الصرف ميدان واسع قد خاض فيه علماؤنا بالنثر حينا، وبالشعر أحيانا أخرى. ويبدو أن الشيخ عبد الله بن فودي قد بلغ في هذا المجال مبلغا لايدانيه قليل البضاعة، خفيف الزاد. أضف إلى ذلك أن خدمة الإسلام والمسلمين هي غايته، ونشر العلم بين العوام والخواص هو همه الأول والأخير، وبث الثقافة العربية بين عشاق الأدب هدفه الأكبر. وهكذا تصرف الشاعر يبرز باعه الطويل في واد الفنون العربية، إذ نراه ينتقل من باب إلى آخر. والهدف من التأليف، نشر العلوم العربية الإسلامية في المجتمع الفلاني – قبيلته التي ينتمي إليها–والهوساوي بشكل خاص، والمجتمع الإسلامي بشكل عام، على تضافر مهامه الجهادية.وقد نصب الشيخ نفسه لتدريس هذا الكتاب أيامه، ولا يزال الحال عليه عند بعض علماء نيجيريا في الوقت الراهن.

ولا شك أن المؤلف قد برهن بهذه المنظومة، سعة علمه، وطول كعبه في اللغة العربية، وربما لذلك وصفه شيخو أحمد سعيد غلادنثي، رئيس جامعة عثمان بن فودي بصكتو سابقا – نيجيريا – في كتابه "حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا بأنه "... كان عالما مثقفا، ومؤلفا بارعا في شتى الفنون وكان وحيد عصره إذ لم يكن في غرب أفريقا أعلم منه في ذلك الزمن " (غلادنثي, ٢٠٠٨: ٩).

٢– لمع البرق

وهو كتاب مختصر منظوم في النحو، وهو عبارة عن تلخيص موجز للفن الرابع من كتاب "الأشباه والنظائر" للإمام عبد الرحمن السيوطي. وهذا الكتاب دسم مشبع لنهم الدارسين لأنه يمهد السبيل إلى معرفة المسائل النحوية الدقيقة، ويبدو أن المؤلف وضعه قبل أن يؤلف كتابه الكبير الذي أسماه البحر المحيط. يقول في مطلعه:

الحمد لله الذي الخَلْقَ خَلَـقْ متَّصِفًا بِجَامِعٍ وَمَا فَـــــرَقْ (ثيط، ٢٠١١)

ثم صلاته مع الســـلام حَـقّ لِجَامِعٍ فَضْلاً بِخَلقِهِ افْتَــرَقْ

وبَعْدُ فالمَقْصودُ نَظْمُ فَاصِلٍ مُشْتَبَهَ الأَبْوَابِ والمِسَائِـــــل
في النَّحْوِ نَثْرُ سَيِّدِ الأَكَابِر في رَابِعِ الأشياءِ والنَّظَائِـــرِ
للعالِمِ العلاَّمةِ السَّيُّوطِـــي ورَبُّنا لِمَا نُرِيدُ المعْـــــــطِي
سميتَ نَظْمِي فِيْهِ "لَمْعَ الْبَرَقْ " فيه لِذِي تَشَابُهٍ مِنْ فَـــــرَقْ

إلى أن قال:

ونَظْمُنَا آذَنُ بِالْكَمَـــــــالِ في رَمَضَانَ عَامِ بِشْـــرٍ دَالِ

وفي علم العروض والقافية ، نظم حوالي مائتين وثلاثين بيتا ، يقول في مطلعها :

يقول راجي رحمةَ الإلـــــه خائفُ ما جَنَاهُ عبْدُ اللـــــه (أبو بكر, ١٩٧٢: ٢٧٨)
أَحمدُ من قدْ نَزَلَ الْكِتَابَـا يرشدُنا وسبَّبَ الْأَسْبَـــــابا
ومد ظلَّه الطويلَ الكامـلا الوافرَ البسيطَ فيه رامِـــــــلا
وهازجًا في وعظه وراجـزًا في حربِه واجْتُثَّ كُفْرًا ناجـزا

ولئن دلت هذه المنظومات على شيء، فإنما تدل على أن الشيخ عبد الله بن فودي يعدّ من عباقرة علماء غرب أفريقيا بصفة عامة، وفي نيجيريا بصفة خاصة. وقد بذّ المؤلف بهذا التراث الهائل أقرانه في معظم العلوم العربية والإسلامية إن لم يكن كلهم جميعا لأنه لم يترك فنا علميا وهو منثور ومشهور في أوساط العلم وقتئذ إلاويحوّله إلى منظوم ليكون سهل المستساغ لدى الدارسين والباحثين . فكتبه في النحو والصرف والعروض والقافية ناطقة وشاهدة له. وهذه المنظومة النحوية تمثل الجهود الجبارة التي قام بها علماء نيجيريا في ميدان التأليف، وفي النحو بصفة خاصة، تشجيعا على الخوض بفلكه من أربابه.

٣- في مجال الزهد

الزهد نمط سلوكي يتجه إليه الإنسان بتأثيرات مختلفة، قد تكون دينية أو نفسية أو خلقية أو إصلاحات اجتماعية، فلا غرو أن كان ظاهرة إنسانية قديمة عرفها الكثير من الأمم (ضيف،٢٠٠٥: ١١).

وقد تتردد في القرآن الكريم دائما الدعوة إلى الزهد في الحياة الدنيا، ومتاعها الزائل، وهي دعوة تحمل في تضاعيفها الحث على التقوى، والعمل الصالح. فالمسلم الحق من عاش للآخرة، ورفض عرض الدنيا، فلم يأخذ منه إلا بحظ محدود، حظ يقيم أوده، ويعدّه للكفاح في سبيل الله (شوقي، ٢٠٠٥). ومن ثم كان زهد الإسلام لا يعني

الانقطاع تماما عن الدنيا كزهد الرهبانية، بل هو زهد معتدل، زهد فيه قوة ودعوة إلى العمل والكسب، يقول جلّ وعزّ: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...) القصص آية ٧٧.

الزهد بمفهومه وأهدافه كان أحد العوامل التي تحمل في تضاعيفها الحث على تهذيب السلوك الإنساني، والتربية الروحية ورياضتها على طاعة الله والامتثال لأوامر الله ونواهيه. فهو بلا شك، مبدأ جوهري من مبادي الإسلام وتعاليمه على الأساس الوثيق لبناء المجتمع الصالح القوي قد خطا الزهد خطواته الأولى بصورة غير مستقلة ، فظهر أول ما ظهر في تضاعيف الزهد الحكمة ، وما لبث أن استقل بنفسه، فكان ثمة قصائد، ومقطوعات مستقلة، وأضحى له روّاده، وعشاقه وممثلوه الحقيقيون (حته, ١٩٦٨) ومن ثم، أصبح فنا مستقيم المناهج والأساليب المعروفة لدى الشعراء الصوفيين، والوعاظ المسلمين (أونييدى, ٢٠١٣).

وإن من أغراض الشعر التي برع فيها العلماء والأدباء في نيجيريا فن الزهد، وقلما نجد طالبا عربيا إلا وحفظ قصيدة أو اثنتين من قصائد الزهد وكذلك لا نجد أديبا، شاعرا أو ناظما إلا وله إنتاج أدبي في هذا الغرض (داؤود، ٢٠٠٣). وفي هذه القصائد، كانوا يحثون سامعيهم على تحقير هذه الدنيا الدنية ، ويرغبونهم في أخذ الزاد ليوم المعاد. والأدباء أو الشعراء إن لم ينتجوا في هذا الغرض قصيدة، نراهم دائما مشغولين بشرح أو تعليق على قصائد غيرهم، وبينهم من يقوم بتشطير أو تربيع أو تخميس، وكل هذا يشير إلى شدة تولعهم بها.

ولعل دالية داؤود أحمد أديكيليكن تيجاني–رحمه الله–تمثل هذا الغرض ، إذ نراه يقول :

ألم يأنِ التَّزوُّدُ للمِعـــــــــادِ ونُورُ الشَّيْبِ فَوق الرَّأسِ بَـــــادِ (داؤود, ٢٠٠٣)

كفى لِلْمَرْءِ تَذْكِرَةً ووعظًـــــا بياضُ ذَؤَابِهِ بَعْدَ اسْـــــوِدَادِ

إذا جاء المشِيبُ إليك فاعلَـــمْ بأن القَمْحَ يَقْربُ للحِصَـــــاد

ولو أنا إذا متنا تُرِكْـــــــنا لكان الموت راحةَ كلِّ فـــــرد

ولكنا إذا متنا بُعِثْنـــــــا ويسألنا الإلهُ عن المَـــــزاد

وإن المرء بعد الموت يَلْقَـــى بأملاكِ الغِلاظِ وبالشَّـــــداد

وآخر يقول :

هل الدنيا وما فيها جميعـــا سوى رُؤْيَا المَنَامِ أو الغُبَار (الأندلسي, د.ت)

هلِ النَّعْماءُ فيها إن نظرْنَـــا سوى ظلٍّ يزول مَعَ النهار

تفكَّرْ أين أرْبَابُ السَّرايـــا أولُو خيرٍ ومير والمَنَـــار؟

وفي حرف التاء من الكتاب ذاته، يقول:

فعُقْبَى كلِّ شيءٍ نَحْنُ فِيـــه من الدنيا كنبْتٍ يابِسَـــات (الأندلسي، د.ت)

وما حَبَأَتْهُ أَيْدٍ مِن كُنُـــــوزٍ من الجمع الكَثِيفِ إلى الشتات
نسوه كأنهم لم يعرفـــوه ولم يك فيهم خلّ مُـــــؤات

وهذه الأبيات تمثل صورة من صور اتجاهات الزهد في أشعارهم، والغاية منه التقشف والورع في الحياة الدنيا لطلب الآخرة، وما أكثرها في دواوينهم!

٤– وفي مناجاة الله

إن الأدعية على اختلاف صيغها وأنواعها مرغوبة في الإسلام. لقد وردت آيات قرآنية، وآحاديث نبوية تحث المسلمين كافة على الاعتصام بحبل الدعاء، واللجوء إلى خالقه وبارئه في السراء والضراء، فقد اتجه شعراء نيجيريا إلى هذا الأدب الإسلامي الرفيع في بنات أفكارهم، شعرا ونثرا. لأنهم كانوا يتغنون بمناجاة الخالق المنفرد بالربوبية والألوهية، وقد تجلت حقائقه في سائر نواميس الحياة والطبيعة، وبموجب ذلك، يلذ ذكر نعمه، وثناء آلائه، وتدبر آياته بأسمائه الحسني، وصفاته العليا على سنة النساك، والأدباء فتشرق على قلوبهم، وأرواحهم شمس الحقيقة واليقين (أغاكا، ٢٠٠٣) ومن الذين أشهروا هذا الأدب الروحي في الإنتاج، أو شهر بهم الفن في محيط نيجيريا الوزير جنيد الصكتي الذي ذهب معظم قصائده في ديوانه إلى هذا المنحى النبيل، وهو–بلا شك–رجل من رجال العلم والأدب، و فارس من فرسان الشعر العربي الحديث.

وواضح أن إيمان علمائنا رصين بمنهاج الله في سمو العقيدة السمحة، وغرة الشريعة العادلة، قد ألهمهم أن يتلمسوا طرق التصور الإسلامي في إبداع أنماطهم الأدبية، لأن غايتهم القصوى تتوقف على بناء مجتمع فاضل قائم على قواعد البر، والتعاون، والإحسان (أغاكا، ٢٠٠٣).

إضافة إلى ذلك، فإن غرب أفريقيا بما فيها نيجيريا مليئة بحركات صوفية لما فيها من أدوار إيجابية في نشر الإسلام من جهة، والثقافة العربية من جهة ثانية، والمعرفة الإلهية من جهة ثالثة فيلجأ شيوخ الطرق الصوفية على نظم الأشعار العربية وفق آيات قرآنية، وبالتالي، يحفظونها ويقرؤنها في زواياهم، فيجدونها تأثيرا في استجابة دعواتهم، فيكف أكثرهم من الإتيان بالسحرة والكهنة المنتشرين في البلاد انتشار جراد.

ولعل الشيخ إبراهيم عبد الله السنغالي يتقدمهم في هذا الوادي، ومن الذين عرفوا في هذا المجال في المحيط النيجيري، الشيخ محمد الناصر الكبري، والشيخ يوسف عبد الله اللكوجي والشيخ الوزير جنيد الصكتي، ومن أبرز ماقاله الأخير في هذا الميدان بناءًعلى قوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) سورة الشرح آية ٥ نستمع إلى قيثاره حيث يقول من بحر الطويل:

ف– فَـــرَرْتُ إلى رَبِّي الْعَلِيمِ بِحَالَـــتِي لِيَكْـفِـيَـنِي مِـنْ كـلِّ سُـــوءٍ وشِـــدّة
إ– إلـيه اشْتِـكَائـي لا إلى غـــيره ولا أزالُ أُنَـادِيـــــهِ نَـــهَارِي ولـــيْلتي

ن- نَـمُـدُّ بأيـدينا إليك تَضَرُّعًـــــا ونـطلبُ منك اللُّـطفَ في كـل حـالة
م- متى ما دعا المضْطَرُّ تَكشِفُ عنه ما دعـــــاك لـه ياربِّ فَـرِّجْ لِكُـــرْبتي
ع- عليك إلهَ العرشِ كان تَـــوَكُّـــلي فإنـك حَـسْبي ربِّ فاقْـضِ لحاجـــتي
إ- إذا نَابَـنِي هَـمٌّ دعـوْتُك طالبًـــا لِتَـكْشِـفَهُ عـنّي كَـأَسْـرَعِ لُـمْحَة
ل- لك الله فَوَّضْتُ الأُمُـورَ جميعَها فـكُـنْ لي لطيفـــــا يا غِيَاثَ البـرية
ع- على باب جُودٍ منك أنزَلْتُ فاقَتِي وأطـلب ربـي أن تـسُـــــدَّ لِخَـــلَّتي
س- سميع فكن لي سامعا يا مجيبَ مندعاه فهـــــــبْ لي من لدنك برحمـــة
ر- رحيم فكن لي راحـما يارؤوفُ يالطيـــفُ بجاه المصطفـــــى ذي الهداية
ي- ينالُ مُناه كـــلُّ من قد توســـلا بخـــــير الـورى الآتي بأفـــضل مـلة
س- سألتك ياذا العرش هب لي بجاهه جميـــعَ الذي أدعـــــوك في كل ساعـة
ر- رغبْتُ إليك اللهُ أدعـــــوك راجيا فحقـــقْ رجـــائي في إجـــابة دعـــوتي
أ- ألوذُ بخير الخلق كَهْفِي ومَوْئِـــلي وكاشـــفِ كـــربِ الخلـقِ يومَ القـيامة
ع- عليه صلاةالله ثم سلامـــــــه مـع الآل والأصـــحاب أهـــلِ العِـنَاية

قد بدأ الشاعر هذه القصيدة بالفاء فالألف فالنون فالميم فالعين إلى آخرها على بناء قوله تعالى:(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) سورة الشرح آية ٥ وأمثال هذه القصيدة في دواوين الصوفيين الكبار متواجدة بكثرة. وأما الذين يقولون بأن رجال الطرق الصوفية في غرب أفريقيا ،كانوا أداة مسخرة للاستعمار أو كانوا عضوا أشل في المجتمع ، فقد تلقوا الخبر الكاذب من فاسق، لم يتبينوا حتى أصابوا القوم بجهالة (الإلوري، ١٩٩١) وإذا كان للصوفية سيئات في البلاد الأخرى ، فإن لها حسنات في نيجيريا بوجه خاص (الإلوري، ١٩٧٩). ولعل من الأهمية بمكان ، أن نقتبس من قطعة قالها الشيخ آدم عبد الله الإلوري لموقفه من هذا الاتجاه (المناجاة) إذ قال : "..... وقد حصلت كرامات كثيرة للدعاة الإسلاميين الأولين في غرب أفريقيا ، لذلك ، ظل الناس ينظرون إلى العلماء المسلمين حتى اليوم نظرة إكبار وإجلال ، وظل الملوك والأمراء والأغنياء يتوسلون بدعواتهم إلى قضاء حوائجهم" (الإلوري، ١٩٨٥).

وهذه السنة سجية طيبة امتاز بها الشعراء المسلمون النيجيريون إذ كانوا لا يستعيضونها بدلا، ولا يبغون عنها حولا، فقد أغناهم الكتاب العظيم ، والسنة الكريمة بما يحتاجون إليه من بدائع الأسماء، وجلائل الصفات ثم ألهم الله من آتاهم الله قدرة عقلية من العلم، والفكر ،والفن، أن يستنبطوا ما يروقهم بشرط ألا ينبو عن الذوق الإسلامي على نحو ما شرع الله لهم في مناحي الحياة (أغاكا، ٢٠٠٣) وقد شرعوا على أنفسهم في تحصيل سليقتهم وملكتهم سننا

متباينة على حسب الطاقة، وثبت أن قوة إيمانهم بالعربية جعلتهم يشترطون البيان على أنفسهم عند إبداعهم لا يبغون بها بديلا. ومن المقطوع به في جهادهم في سبيل الأدب الإسلامي لا ينحصر في الدفاع عن أفكاره، وقضاياه، ومعانيه فقط بل كانوا يناضلون في سبيل ألفاظه، وتراكيبه، وصوره ،إلى أن أضحى ميدانا جليلا يتسابقون إليه ،ويتحمسون فيه ، ويستأجرون من الله حتى تعود العربية إلى مكانتها في الإبداع ذات خصائص وقيم في الكلام الرائع على مدارج الحياة الأدبية (أغاكا، ٢٠٠٣).

٥- في تفسير الكلمات المماثلة على ضوء الترادف اللغوي

لقد ترك علماؤنا من الشعر ما لا يستهان به ، إذا عرض على ضوء النقد الأدبي بحيث لو اطلع عليه العربي القح أو الناقد النزيه لما وسعه إلا أن يطاطيء رأسه إعجابا بالقريحة التي جادت بها ، رغم بعد الدار ، وعدم توفر الأسباب (الإلوري، ٢٠١٢) ولأن مكانة الفصاحة والإبانة عظمت في نفوس علمائنا على تعاقب أزمانهم. ولتبعد بينهم العجمة، شرعوا في الأخذ، والأداء سننا عديدة لاكتساب أنماط عديدة من التراكيب والأساليب من مصادر أساسية، وعند ما يصلب عودهم ، عمدوا إلى ما يروقهم من مناهج تدوين اللغة، جمعا واختيارا وتضمينا. ومن أصالة ما قيل في هذا الصدد ، رائية الوزير جنيد ، الذي يختار كلمات بها حرف الظاء، فيفسرها بكلمات بسيطة في أبيات القصيدة، تسهيلا لطلاب اللغة العربية الذين يستصعبون العربية في وقتنا الراهن ، إليك مقتطفا من هذه الأبيات:

أيا طالباً تفسيرَ ما كان مُشكِـــــلا عليه ورَامَ الحفظَ خُذْ ما تيَسَّرا (الوزير جنيد, د.ت)

فظَمْيَاءُ أُنْثَى زِيْنَ فُوها بِسُمْـــــــرَةٍ ولَثَّتِها فافْهَمْ وكنْ من تبّصَّـرا

مَظَالِمُ والإظْلاَمُ ليس لِكَشفِهـــا احْـــــــــــتِيَاجٌ ، لأن الأمرَ سهلٌ لمن دَرَا

نَظِيفُكُمُ فَهْوَ النَّقِيُّ وذو الظِّلِـف هو المنع فافهمْ ليس ذلك مُفْترى

فَظِيعُكم فهو الكريم عُكَاظُكـم بتَخْفِيْفِ كافٍ مَوْسِمُ العَرَبِ شهرا

إلى أن قال:

فما رُمْتُه قدْ تَمَّ في وُسعِ طَاقَتِـــي فعُذرًا لِمَنْ في غُمَّةٍ تَمنعُ الكَـــــرا

إن تدوين هذه الألفاظ، لايخرج عن ترف أدبي، ولكن قيمته تتجلى إذا علمنا ما عليه العربية في الفترة التي قيلت فيه، وذلك عند ما سطا الاستعمار الانكليزي على البلاد، وفرض عليها ثقافتها، وأزال اللسان العربي من أن يكون الأداة العلمية، والفكرية، والسياسة، أسوة بالعهود السالفة، وانقطع اتصال نيجيريا بأخواتها العربية، ومن ثم، عادت الرطانة إلى ألسنة الأدباء والمتأدبين (أغاكا، ١٩٩٩) وجاء الأدب الانكليزي والفرنسي، وطغى على الأدب

العربي في كل مكان، فلاتوجد الجرائد، ولا المجلات، ولا الإذاعات المحلية، حيث يستطيع الأديب الوطني العربي أن يسوق بضاعته أو أن يروج بلاغته (الإلوري، ٢٠١٢) ولكن الأمر الذي لا خلاف فيه، هو ارتقاء البحث العلمي، والنقد الفني الذي تجلى في رحاب الجامعات الحديثة، حيث أتاحوا الفرص لمن يريد أن يكتب في موضوع تاريخي أو علمي للحصول على درجات علمية من الشهادة العالية أو العالمية، فحلت هذه النشاطات القلمية محال ذلك المجال في الأدب في النظم والنثر (الإلوري، ٢٠١٢). إضافة إلى ذلك، فقد قال إسحاق أوغبيه في هذا الاتجاه، إذ قال: "... ما زال التعليم العربي في بلادنا، يعاني من قلة الكتب المدرسية المناسبة لتدريس الجيل الناشيء من أبناء هذا الوطن الكبير ... إن الواقع المشهود أن جلة الكتب التي تستخدم في هذا الوطن خصيصا لأبناء العرب على الرغم مما بين شبابنا، وشباب العرب من الاختلافات اللغوية البينة، والفروق الثقافية الواضحة، الأمر الذي جعل طلاب العربية في هذا الوطن يستصعبون تعلم العربية، ولا يستسيغون آدابها مع ما فيها من ثروات لغوية كبيرة، وانتاجات فكرية خصبة ..." (محمد الأول، ١٩٩٩). لهذا السبب، ذهب نابغوها إلى تسهيل اللغة العربية لدارسيها بأية وسائل ممكنة لتكثير طالبيه بالتأليف حينا بالشعر، وأحيانا أخرى بالنثر.

فالشعر طاقة عقلية وفنية متميزة بالشعائر الإسلامية المجيدة، نشأت منذ أشرقت نيجيريا بنور ربها، واتخذت الاتجاه الحنيف منهج حياتها في سائر الأغراض. وذلك بأن المجتمع الذي ينتمي إليه الأديب لايقبل منه إلا النص الملتزم بشعائر هذا الدين، فسهل على المنهج الحديث أن يلقي جذورا عميقة في واقع ضمائر الشباب، وهو أدب قد روعيت صياغته في غالب موضوعاته وأشكاله روح الإسلام التي أنار بها المولى جل شأنه إلى البشرية. ومن ثم، ظل الالتزام الإسلامي في منهجية أدبنا قضية الحياة، والمصير، والهدف، والغاية، ولا تزال هذه القيم الفكرية سمة بارزة تنعكس على فنون أدبية، يتعاطاها أدباؤنا، شعرا ونثرا,لأن الأدباء كانوا في سائر أمورهم يستعينون بالأشعار لتقييد العلوم، والأمور النفيسة، والطبيعية التي يخشى ذهابها، ولم يلبث أن كانت دواوينهم صورا لمآثرهم، وآمالهم، وآلامهم، ومشاهد وجودهم (أغاكا، ٢٠٠٣).

٦- وفي مجال الوعظ والإرشاد

لقد حرص علماء نيجيريا على أداء الوعظ والإرشاد في أوقات رتيبة، وفي كل فرصة سانحة، فلكل إمام بين جماعته، ولكل عالم بين تلاميذه نشاط ملموس من هذا الوعظ خصوصا في أيام رمضان ولياليه، حيث يترجم بعضهم القرآن، ويفسر بعضهم الحديث في الأيام والليالي. و يمكن تقسيم الوعاظ في نيجيريا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذين يعقدون مجالس وعظهم في مساجدهم، ويلقون على جماعتهم كل يوم الجمعة من بعد صلاة الصبح حتى الإسفار أو ليلة كل جمعة من بعد صلاة العشاء (الإلوري، ١٩٧٨)

القسم الثاني: الذين يتخصصون لوعظهم يوما معينا أو ليلة معينة في الساحات العامة، يحضرها الرجال والنساء، ويقضون فيها الساعات.

القسم الثالث: الذين يتطوعون بوعظهم، ويتنقلون له من بلد إلى بلد، ويعقدون له مجالس مهمة، يجاهدون به الكفار والمنافقين، ويذّكرون المؤمنين (الإلوري، ١٩٧٨) ولقد كان لهؤلاء فضل كبير في دخول الناس إلى دين الله أفواجا وأفذاذا. وأشهر من عرف منهم في بلاد يوربا الشيخ سعد النفاوي الإلوري وقد كان يتغلغل بوعظه في المدن والقرى حتى أدخل نحو مائة ألف كافر في الإسلام في بلاد يوربا، والداهومي، واشتهر بما كان يكرره من الكلام "كَوْكَيْهُو كَوْبَيْرَى بَوَوْنِيَوتِشَيْلَا"

وأكثر المؤلفون بالعربية من استعمال الرجز مطية لهذا الغرض (الإلوري، ٢٠١٢) يقول الشيخ محمد والي بن سليمان الباغرمي:

أوصِيكمُ يا معشرَ الإخـــــوان عليكمُ بطاعة الدَّيـَّـــان (الإلوري، ٢٠١٢)
إياكمُ أن تُهْمِلُوا أوقاتِـــــكم فتَنْدَمُوا يوما على ما فاتَـكم
و إنما غنيمةُ الإنســـــــان شبابُه والخسرُ في التَّـــواني
ما أحسن الطاعةَ للشُّبَّـــــان فاسعَوا لتقوى الله يا إخواني

وعلى سبيل المثال، نظم الشيخ عبد الله بن فودي حائية لما رأى كثير من قبائل أخرى يأتون إلى الشيخ عثمان، وينتفعون بمواعظه، ويتأدبون بآدابه، ويدخلون في جماعته أفواجا، ولم يرى ذلك في غالب قبيلته الفلانية وهم أولى بذلك فيقول:

طَرِبْتُ فأشْجَانِي الطُّيورُ الكَوابِـــحُ وفرَّحَني منها الغُيُوثُ الرَّوائِـــحُ (فودي، ١٩٦٢)
وخوَّفني أيضا ذِئَابٌ بَـــــوارِح وأمَّنني منها الظِّبَاءُ السَّوانِـــح
لقول النبي لا تزال جماعـــــةٌ على الحق منا أو يجيءَ المِقَـارح
أقول له قُمْ وادْعُ للدِّين دعـــوةً تُجِبْها عَوامٌ أو خواصٌ جَحَاجِـح
ولا تخشَ في إظهار دينِ محمـــدٍ بقولةِ قالٍ تَأْتَسِيه كَنَاتِـــــح
وغيبةِ هَمَّازٍ ، وضِغْنِ مُشَاحِـــنٍ يساعِدُه مَنْ للعَوائِد رَاكِـــح
وليس لما تَبْنِي يَدُ اللهِ هَـــادمٌ وليس لأمرِ الله إن جاءَ ضَـارح

وقد اخترع الوعاظ الأشعار الأعجمية في نغمات يتذوقها أبناء البلاد، ويتأثرون بها، ولا ينسونها أبدا، ويسمونها "واكا" في لغتي هوسا ويوربا، فقد اعتادها بعضهم حتى صارت له ملكة يقتدر بها على تفسير كل آية من القرآن بهذا الأسلوب الشعري المعروف عندهم (الإلوري، ١٩٧٨).

٧–وفي الحكم

الحكمة كلام بليغ، قريبة الشبه من المثل، تصدر عن الحكيم المجرب يضمنها صادق تجربته، وثاقب نظرته، وسديد رأيه، وسليم تفكيره بأسلوب أحسن دلالة، وأكثر وضوحا، وأعمق تفكيرا، وأعم فائدة، فيها الموعظة الحسنة تستهوى السمع، وتسترق اللب فيكون لها أثرها القوي في النفوس (صالح وآخرون، ١٤٠٠هـ) وقد أدلى علماء نيجيريا بدلوهم في الأشعار التي تهدف إلى الحكم، ومصدرها تجارب استقوها من الحياة، أو عثروها من وجوه شتى في ميادين المعرفة، ولعل القصيدة التي تمثل هذا الجانب، هي المقطوعة التي قالها الأستاذ الملقب بالمسكين في الحكم، ما نصه:

أَبِنْتُ لِلطَّبِيبِ عَينَ دائِـــــــي لأن ذا أدْعَى إلى شِفَـــــــائي (أبو بكر، ١٩٧٢)

ومَنْ تَمَنَّى أن يكونَ أكْرمَـــــــا فليتَّقِ اللهَ يكنْ مُكرَّمـــــــا

ومن أطاع النفسَ والشيطانـــــا أضاعَ حقَ اللهِ والإخوانـــــا

ومن يبعْ آجلَه بعاجـــــــلٍ يَبِؤْ بِخُسْرٍ عاجلٍ وآجـــــــل

فجَوِّعَنَّ كلبَك يَتْبَعُكـــــــا ولا تُسَمِّنْهُ فَيَبْتَلِعُكـــــــا

معظم ما ورد في هذه الأبيات مأخوذة من الأحاديث، وأقوال الحكماء، ومن أشعار العرب أيضا، إضافة إلى ما في هذه الأبيات من الحكم والأمثال، فإنها تتحلى بالأخلاق الفاضلة، والمواعظ البليغة ما لو تأملها اللبيب، لوجدها ثمرات يانعة، ونفائس ثمينة، ومنظومات قيّمة، شكلا ومضمونا، يلتقط منها القارىء ما لا يستغنى عنها بغض النظر عن الطبقات العالية من السفلى، أو الأجناس المشهورة من الخاملة، أو من المجتمعات المتقدمة من النامية. والفضل كله يرجع إلى العلماء الذين لم يجردوا الثقافة العربية من الخلال النبيلة في المجتمعات الإنسانية، وبالأخص السنيين منهم. وأمثال هذا الغرض من الشعر كثير في دواوينهم، وفي تراثهم الأدبي.

٨– في تاريخ الشخصيات البارزة

إن مما لا ينكر اثنان في المجتمع النيجيري أن شرذمة من كبار العلماء، قد لعبوا دورا حيويا في تغيير أوضاع البلاد من الكفر إلى الإسلام، ومن جحيم الجهل إلى نور العلم، لذلك، تدفق الشعراء إلى تخليد أسماءهم في سجل دواوينهم، ثم

يتدارسون – وبالتالي – هذه الأشعار التي قيلت في هذا الصدد بين طلبة العلم احتراما لآولئك الأعلام، وتذكرة للأجيال المتعاقبة بأعمالهم المشكورة من جهاد وتأليف وإصلاح وفداء.

ولعل نونية الوزير جنيد (١٩٩٧-١٩٠٦م) الذي يعدّ رائدا من رواد الشعر العربي النيجيري خير مثال لهذا الغرض، فهو في نونيته يعرض صفات الشيخ عثمان بن فودي، مؤسس الدولة الإسلامية بنيجيريا من تكهن كاهن بولادته، ودعوته الناس إلى الإسلام ثم هجرته، ومبايعة الناس له، ومبدإ جهاده قائلا:

مَنَاقِبُهُ لا أستَطِيْعُ لِعَدِّهَـــــــا ولوْ مَدَّنِي في عَدِّها ألْفُ إنسـان

كفاك بِشارات الوِلايةِ بُشِّـــرَتْ به قبلَ مِيلادٍ له منذ أزمـــــان

وقالتْ سيَأْتِيْكُم وَلِيٌّ مِنَ أَوْلِيَـا يُجَدِّدُ دينَ اللهِ فيكُم بإيقَـــــان

فأرسل طاغوتُ الغَوَابِر نحوَهم يحذِّرُهم من ذاك من غير كتمـــان

فمالوا على من كان تحتَهمُ من الـــــجماعةِ تعذيبٌ وقتلٌ بعـــــدوان

إلى أن غدا طاغوتُ غَوْبِرْ فأرسلا بجيشٍ عظيمٍ ذي زهاءٍ وأركـــــان

فهاجر شيخُ النُّور والمسلمين من بلادهم طرا بتأييد رحمـــــــــان

وأجمعَ كلُّ المسلمين بلا مِـــــرى على الشيخ فاختاروهُ كهفا للهفان

فبايعَه أهلُ الفضائل والتقـــــى قد اتفقُّوا طُرًّا عليه بإذعـــــان

فأوَّلُهم عبدُ الإله شقيقُـــه يليه محمَّدْ بَلَّو ذاك هو الشـــأن

الخاتمة

كان الإسلام واللغة العربية في نيجيريا بالذات، يتأرجح بين ظلمة الدّسّ، ونورالإيمان بالتقدم، وكان يتقلب فيها بين كفتي النقصان والرجحان، ويترواح بين الانتشار والانحسار، وقد بلغ الفساد غايته، حتى رمي بالعربية وراء الإفرنسية، وفي هذا الوسط المتكدر، والجو المكفهر، عمل-وما زال يعمل جاهدا-علماء أدباء، تربّوا على أيدي علماء صالحين، وتثقفوا بهم في الدين واللغة، والعلم، والصلاح، والورع. فالهدف من هذه الأشعار يكمن في تعليم الناشئين من الشباب ليكونوا على بصيرة على أن العربية ما زالت-ولا تزال-تمشي في أبهى ثيابها رغم ما ينفق أعداءها الألداء.وقد اتضح من النماذج المذكورة أن الشعراء في نيجيريا، قد طرقوا أبوابا شتى من فنون الشعر، وكان الدافع الرئيس إلى تعلم اللغة العربية وإتقانها الإسلام، والحب الشديد للانتماء إليها. وقد وقع بعضهم في الضرورات الشعرية التي أجازها النحاة، ونقاد الشعر القدماء (غلادنثي، ٢٠٠٨).

وهذه الأشعار– وبطبيعة الحال –تختلف في جودتها وحسن ديباجها وتصويرها الفني باختلاف الأغراض التي قيلت فيها. وقد لا تكون في أكثرها فكرة جديدة أو صورة مبتكرة، ولكن إذا أخذنا في الاعتبار بيئة شعراء نيجيريا، ومدى ثقافتهم والامكانات العلمية الموجودة لديهم، لايسعنا إلا أن نقدّر هذه المؤلفات الأدبية، وتلك المنظومات التعليمية حق قدرها، خصوصا أنهم استطاعوا أن يسجلوا لنا مشاعرهم الإسلامية، ويرسموا صورا واضحة لبنات أفكارهم. وفوق ذلك كله، نَسَجُوهَا لاستقامة اعوجاج الشبان من التحديات الاجتماعية والسياسية التي تواجههم كل يوم.

المراجع

أبو بكر، علي. (١٩٧٢). الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠–١٩٦٠م عام الاستقلال. ط١.بيروت: مؤسسة عبد الحفيظ البساط.

أبو زيد عبد الرحمن الأندلسي. (د.ت). القصائد العشريات. القاهرة: مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.

أغاكا، عبد الباقي. (٢٠٠٣). الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري. ط٢. إلورن:مطبعة ألبي الانتاجية.

أغاكا. (١٩٩٩). المطارحة بين الوزير جنيد بن محمد البخاري ونجله الدكتور ثمبو ولي بن جنيد. مجلة النهضة لمركز الدراسات الإسلامية ، المجلد الثاني.

الأندلسي، أبو زيد عبد الرحمن. (د.ت). القصائد العشريات. القاهرة: مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.

أونييدى، داؤود عبد العزيز. (٢٠١٣). القيم الخلقية في أشعار زهد الواردة في مقامات الحريري. مجلة أنيبا للدراسات العربية والإسلامية. المجلد السادس.

الإلوري ، آدم عبد الله. (١٩٨١). نظام التعليم العربي وتاريخه .ط٣. لاغوس: دار النور للطباعة والنشر.

الإلوري. (١٩٨٥). الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا. ط١. القاهرة : مطابع المختار الإسلامي.

الإلوري. (٢٠١٢). مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية. ط١. القاهرة: مكتبة وهبة

الإلوري. (١٩٩١). آثار العلم والفلسفة والتصوف في مسيرة الدعوة الإسلامية. ط٢. القاهرة : دار التوفيق النوذجية للطباعة.

الإلوري. (١٩٧٩). توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا. ط١. القاهرة: مطبعة الأمانة.

الإلوري. (١٩٧٨). الإسلام في نيجيريا. ط٣. بدون مكان النشر.

ثيط ، يحيى فاروق. (٢٠١١). لمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق. ط١. كنو: دار الأمة.

حته، محمد كامل. (١٩٦٨). حقيقة الزهد. الهدي الإسلامي.العدد الرابع. المملكة الليبية. السنة السادسة.

داؤود، أحمد أديكيليكن تجاني. (٢٠٠٣). القصيدة الدالية الزهدية وبيان فضل التعلق برجال الصوفية. ط١. أدى: موبيجولا.

شوقي ضيف. (٢٠٠٥). العصر الإسلامي. ط٢٥. القاهرة : دار المعارف.

صالح ، المالك وآخرون. (١٤٠٠هـ). النصوص الأدبية. ط٣. جدة: دار الأصفهاني للطباعة.

ضيف ، عبد الستار محمد. (٢٠٠٥). شعر الزهد في العصر العباسي. ط١. القاهرة : مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

عبد الله بن فودي. (١٩٦٢). تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات. صوكوتو: مطبعة الأستاذ معلم أبو بكر بن عثمان وشريكه

عبد الله بن فودي. (د.ت). الحصن الرصين. مخطوط

غلادنثي، شيخو أحمد سعيد. (٢٠٠٨). حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. ط٣. الرياض: النهار للطبع والنشر.

محمد الأول، عيسى. (١٩٩٩). الكشاف في الأدب العربي للمدارس الثانوية بغرب أفريقيا. ط١.

الوزير جنيد. (د.ت). الديوان. مخطوط